تجليات الرمز
عند
شعراء أبها

إعداد الدكتور :

عبدالله بن محمد بن عامر هتان

يعد استخدام الرمز في الشعر الحديث من أكثر الظواهر الفنّية حضوراً ولفتاً للانتباه[١]،وأضحى أحد وسائل التعبير عن مقاصد التجربة الشعرية وحمولاتها، وإذا نظرنا في معاجم اللغة العربية نجد ابن منظور في لسان العرب يعرّف الرمز بأنه:" تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم اللفظ من غير إبانة بصوت ، وقيل : الرمز الإشارة والإيماء، رَمَزَ إليه رَمَزَ رَمْزًا : أَوْمَأَ وأَشار بالشَّفَتَيْن أو العينين أو الحاجبين أَو أيّ شيء كان ،وفي التنزيل العزيز : (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزًا)، ورَمَزَ الظَّبْيُ رَمَزانًا : وَثَبَ، و رَمَزَ إلى الشيء بكذا : دَلَّ به عليه ، و رَمَزَ فلانًا بكذا : أَغْراه "[٢]،وهذا المعنى اللغوي هو في حقيقته قريب من معنى الرمز في الحقل الأدبي الذي يمثل " الإشارة بكلمة تدل على محسوس، أو غير محسوس، إلى معنى غير محدد بدقة، ومختلف حسب خيال الأديب، وقد يتفاوت القراء في فهمه وإدراك مداه، بمقدار ثقافتهم، ورهافة حسهم ، فيتبين بعضهم جانباً منه وآخرون جانباً ثانياً، أو قد يبرز للعيان فيهتدي إليه المثقف بيسر"[٣]،وقد يلجأ العديد من الشعراء إلى استخدامه للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم وعواطفهم، فهو يمثل كل إشارة أو علامة محسوسة، تذكر بشيء غير حاضر،ويعد استخدام الأديب له دليلاً على عمق ثقافته، وسعة اطلاعه، وخبرته ، وهو ما أكد عليه عز الدين اسماعيل معللاً ذلك بأنه لابد

(١)إسماعيل، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية ، ط ٣ ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١، ص ١٩٥ .

(٢)ابن منظور ، ابو الفضل ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٥٦ .

(٣)جبور ،عبد النور : المعجم الأدبي , مادة الرمز، بيروت, ١٩٧٩, ص ١٢٤.

"للشاعر الذي يرغب في توظيف الرمز في شعره من ثقافة وتجربة واسعة ،لأن الرمز مرتبط ارتباطاً مباشراً بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً"[١]، ولذلك فالرمز في الشعر الحديث من عناصر التعبير التي لا تواجه الفكرة مباشرة، وإنما تخاطبها من وراء حجاب، وهذا الأسلوب من إبداع الشاعر يتصل بشكل كبير بخياله، وإحساسه، وثقافته، "ولم تعرف الرمزية على هذا الوجه الإيحائي إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد حين انبثق من فرنسا تيار النزعة (الرمزية) يستهدي في أصوله الجمالية خلاصة ما وصلت إليه الفلسفة المثالية الألمانية خاصاً بالعمل الفني وعلاقته بالواقع"[٢]، وهو في حقيقته لا يقرر ولا يصف بل يومئ بوصفه تعبيراً غير مباشر عن النواحي النفسية، وتتولد فيها المشاعر "عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح "[٣].

وترتبط قضية الرمزية في الشعر العربي بمسألة "**التأويل**" التي فرضت على الشعراء الرمز، تجنباً لما يتعرضون له في حال الكتابة الصريحة والمباشرة ، وهناك فرق بين الإشارة والرمز، فالرمز يمثل تصوراً ، بينما الإشارة تدل على أمر مفرد أو شيء معين، فالرمز أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجهاً لوجه [٤] ،ولذلك فإنَّ من

---

(١)الشعر العربي المعاصر, مرجع سابق , ص١٦٩.

(٢) فتوح، محمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر, ط٢, دار المعارف, ١٩٧٨, ص٣.

(٣) السابق, ص٤٠.

(٤) ينظر : الشعر العربي وقضية الرمز ، مجلة الوحدة ، العدد ٦٢٥١.

أهم وظائفه "إيصال بعض المفاهيم إلى الوجدان بأسلوب خاص لاستحالة إيصالها بأسلوب مباشر مألوف، وقد يكون الوسيلة الوحيدة المتيسرة للإنسان، في التعبير عن واقع انفعالي شديد التعقيد"(١).

ومن أهم القضايا التي ترتبط بالرمز تلك العلاقة بينه وبين الصورة الشعرية التي يُستكشف من خلالها عوالم متعددة ؛ وتسعى مع ذلك إلى استخدام أساليب جديدة لتطور بها فاعليتها وحضورها في نفس متلقيها مما يجعلها تبحث عن بلاغة جديدة وهي تلك التي تتمثل – كما يرى عز الدين إسماعيل– في بلاغة الصُّورة الشِّعرية ، حيث يقول : " إن البلاغة الجديدة ، بلاغة " الصورة الشعرية " تعد أوسع نطاقاً وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة وإن أفادت منها "(٢) فالصورة في البلاغة القديمة – إذن – تنعكس فيما يوفره التشبيه أو الاستعارة من مطابقة، لكنها تظل أقل قدرة على الإثارة وأقل حضوراً ، وأقل كشفاً عن الجديد ، بخلاف الصورة التي أهمّ مميزاتها " أنها تشع في كل اتجاه "(٣) كما أن البلاغة القديمة " تبحث عن التشابه الموضوعي بين حدي الاستعارة "(٤) بينما البلاغة الجديدة تقوم على " البحث عن أوجه المخالفة التي تحدُّ من قوة وتأثير هذه المشابهات "(٥)، ومن ثمّة فإن الآراء النقدية الحديثة ترى أن التشبيه و الاستعارة ليسا الوسيلة الوحيدة لرسم الصُّورة الشِّعرية ، بل هناك سبل

---

(١) المعجم الأدبي , ص ١٢٣.

(٢) الشِّعر العربي المعاصر ،مرجع سابق ، ص١٤٣.

(٣) السابق ، ص ١٤٨.

(٤) ناصف ،مصطفى ، الصُّورة الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢/١٤٠١هـ – ١٩٨١م. ، ص ١٣٩.

(٥) السابق ، ص ١٤١.

غيرهما يمكن لها أن تسهم في إدراك الصورة الشِّعرية بغير الصُّورة المباشرة للتشبيه والاستعارة ، وهذا لا يعني هدرًا لقيمتهما الفنية أو تخلياً عنهما في بنية الصُّورة، ويمكن أن ننقل الأشياء من دالها الطبيعي إلى مدىً أوسع حيث يمكننا أن نسوق لها مدلولات غير التي تظهر بها، فيكون الدَّال الظَّاهر إطاراً خارجياً لمضمون يستوحى منه، وقد يكون هذا النَّقل موافقاً ومطابقاً لما قصد إليه الأديب، وربما يكون خلافه، ويستنبط المعنى من مجموع الدَّلالات التي تلحق به، ويكون الاستنتاج هو الرَّابط بين الدَّال والمدلول ، وهذا ما أُتفق على تسميته "الرمزية " وهي " طريقة في الأداء الفني تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلاً من تقريرها أو تسميتها أو وصفها "(١).

والشاعر بعد ذلك يبحر ويتجول في عالم الرمزية بما يخدم قصيدته ، ويفتح الأفق واسعاً أمام المتلقي ليقرأ النص قراءات متعددة، مستمتعاً بما فيها من خفايا تجعل المعنى قريباً وبعيداً، وهو بذلك يساعد الناقد ليخرج من القراءة التقليدية أو الكلاسيكية ، مقوضاً بذلك الرؤية الواحديّة للعمل الأدبي، لينتقل بعد ذلك من موقع الشارح، والمعلق، إلى الموقع الذي يتيح له أن يبني نصاً جديداً .

وفي هذا البحث سأتناول تجليات الرمز عند شعراء مدينة أبها، وخصوصاً التاريخي كونه ظاهراً لديهم، غالبٌ على نتاجهم ، مع اختلاف توجهاتهم وأفكارهم، وسأركز على اكتشاف تلك الرموز الساكنة أبياتهم الشعرية ،مع التعريج على كيفية توظيفهم لأنماط الرمز التاريخي؛ الديني، أو الثقافي، أو السياسي، أو الأسطوري، أو الشعبي، أو المكاني ...

---

(١) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ،مرجع سابق ، ص٣.

ومن خلال تتبعي لما كُتب عن الشعر في أبها لم أجد دراسة مختصة بتجليات الرمز عند شعراء أبها ،بل كانت في غالبها تتناول جوانب أخرى تتعلق بالشعر والنثر في هذه المنطقة ، ومنها :رسالة دكتوراه مقدمه من الدكتور أحمد التيهاني بعنوان :الشعر في منطقة عسير من عام ١٣٥١ إلى ١٤٣٠هـ ، وهي دراسة ركزت على الجانب التاريخي للشعر في منطقة عسير بشكل عام، متناولاً فيه مصادر الشعر وموضوعاته، ثم الحديث عن السمات الفنية من خلال جانبي :البناء واللغة ، مركزاً على العنونة ، والمطالع ، والوحد الفنية ، والمعجم الشعري ، وقد تناول الرمز عند حديثه عن الصورة ، وكان حديثه عنه مختصراً لم يتجاوز أربع صفحات ، تناول فيها نصّين للشاعر إبراهيم طالع[١] ؛الأول بعنوان "وقفة مع شيطان الشعر" ، والثاني بعنوان "الشاعرة " ، مُسلطاً الضوء على الرمز الأسطوري المُستقى من أساطير الأمم الأخرى مثل : تموز ، عشتار ،أيزيس ..،وهو هنا لم يتناول تجليات الرمز عند شعراء أبها بأنواعه المختلفة كما هو الحال في هذا البحث .

ومن الدراسات كذلك : أبها في الشعر السعودي المعاصر دراسة فنية موضوعية ، وهي رسالة ماجستير مقدمة من منصور القرني في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عام ٢٠٠٥م ،وتتناول هذه الدراسة المشهد الجغرافي بوصفه مكاناً جميلاً ، الذي يدفع إلى امتلاك بُعد شعري، ينتقل من فضاء الكون إلى فضاء النص، وتتناول هذه الدراسة استظهار (أبها) بوصفها الموضوع الشعري لنصوص الدراسة ، مع التعريج على قضية

---

(١) ينظر :التيهاني ، أحمد ، الشعر في عسير ١٣٥١-١٤٣٠هـ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيوت، لبنان، ط١،٢٠١٦م، ج ٢، ص ٤٤٠ إلى ٤٤٧.

التعادل الموضوعي بين المرأة والمكان في نصوص الشعراء ، ثم تناولت بعد ذلك مظاهر الاغتراب في تلك النصوص الشعرية المؤدية إلى ظاهرة الهروب إلى الطبيعة ،وتناولت الدراسة بعد ذلك جوانب فنية كاللغة والأسلوب ، والصورة الشعرية ،والتشكيل الموسيقي الداخلي والخارجي، ثم ختم بذكر تراجم الشعراء مشهورهم ومغمورهم ، وهذه الدراسة خلت من دراسة الرمز بجميع جوانبه ومجالاته .

أنماط الرمز عند شعراء أبها :

تتعدد أنماط الرمز عند شعراء أبها بحسب ما تمثله من أبعاد، واتجاهات، ولكن الجامع لها في هذا البحث أنها تاريخية ،ولذلك فقد أعرضت عن كثير من الرموز المعاصرة، التي أوردها الشعراء في دواوينهم، التزاماً بتاريخية الرمز، وسيحتوي هذا البحث على أربعة مطالب وهي : الرمز الديني ، والرمز الأدبي الثقافي ، والرمز الاسطوري ، والرمز الشعبي ، مع الحديث عن آليات توظيف هذه الأنواع لدى شعراء أبها .

أولاً : الرَّمز الدِّيني

ينتخب الشَّاعر عدداً من الشعائر و الرموز والشخصيات الدينية ، التي لها أثرها في الحياة الإنسانية ، وأخرى ترتبط تاريخياً بقضايا ذات علاقة بكيفية التعامل المجتمعي في الحقب الزَّمنية التي عاشت فيها ، حيث إنَّ حضورها يوفِّر له الدَّعم اللازم عند تنازعه مع الواقع للأسباب ذاتها لتكون رموزاً فاعلة تختصر – دون أن تفقد الكثافة التأثيرية للتَّجربة الشُّعورية – سُبل طَرْقِ هذه القضايا ، واتَّخذ الشعراء من الإيحاء بالمعتقد الدِّيني رموزاً يؤكدون بها أو من خلالها توجههم العقدي والنَّفسي، ويرسمون صورتهم التي قد يكون تكونها خارجاً عن إطار أفكارهم ، إلا أنَّ الرَّمز يجنح بها لتصب في معينه حيث إنَّ " غاية الصورة الرمزية ليس فقط أن تجلو إحساس الشاعر أو فكرته ، بل إنها سابقة على الفكر والشعور "(١).

(١) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

من أهم ما يستمد منه الشاعر في أبها رموزه الدينية (القران الكريم)[١] مستلهماً آياته الكريمة بما تحمله من معانٍ ليُعبّر بها عن ما يدور في ذهنه ،سواء كان بذكر جزء من الآية ، أو بتضمين معناها في البيت الشعري، فإذا أراد الشاعر أن يُعبّر – مثلاً – عن قِصر الحياة وزوالها فإنه قد يتحدث عن الآخرة ودوامها ،كما وردت في كتاب الله تعالى، فبضدها تتميز الأشياء كما قيل ، وإذا أراد الحديث عن جمال الدنيا وفتنتها ، فالتعبير عن ذلك في القرآن كثير متنوع، ومن هذه الأمثلة وغيرها في القرآن أستمد الشاعر في أبها مادته، وصوره ،وخيالاته، متسلحاً بثقافته الدينية، وتمكنه من اللغة وجمالياتها ، وينفذ من خلال الصور القرآنية إلى داخل الصورة الشعرية رغبة في أن تنعم صورهم بظلال الصورة القرآنية ، وقدرتها البارعة في أداء المعنى ،وفي إطار الرمز التاريخي الديني يأتي استلهام النص القرآني في الشعر رمزاً موحياً للشاعر، يوصل به رسالته إلى متلقيه ، ومن هؤلاء الشعراء الذين اتخذوا من القران الكريم ونصه ما يعبرون به عن مشاعرهم و أحاسيسهم، الشيخ القاضي هاشم سعيد النعمي كما في مقطوعته الشعرية التي أنشدها في أبها[٢] ويقول فيها :

فَلَـــــو تَرَاهـــــا إذا زَهَـــــتْ مَجلُـــــــوةً كـــــــالنرجسِ

تحســــــــبُها راقصَـــــــةً بحَركَـــــــاتِ الجَـــــــرَسِ

(٢) ينظر : النعمي ، هاشم ، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير ،من اصدارات نادي أبها الأدبي، ط١ ، ١٤١٥هـ، ص ٣٤٨

مثـــــلُ الغَـــــواني خِلتُهَـــــا أو كـــــــالجوارِ الكُـــــــنسِ

قـــــدْ ضَـــــرَبتْ أشـــــجَارُهَا خِيـــــامَ وَشـــــي سُندسِـــــي

فقد أفادت صورته في البيت الثالث من الآية الكريمة: {ک ک ک} [سورة التكوير:١٦] ، وفيها ايحاء بديع، وصورة متحركة جميلة، تضيف للمعنى المراد صورة حية متجددة، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن ، ما الذي استوقف النعمي عند الجوار الكنس، وهي كواكب في السماء ، بعيدة عن العين ،سابحة في الملكوت الأعلى ؟ ولعل الجواب على ذلك ؛ أنّ الذي استوقفه هو ذلك المشهد الحي لتلك الكواكب التي تشبه الظباء في سرعتها، وخفتها ، وجمالها ، وهي حركة تنبض بالحياة ، وترسم لوحة من الجمال والبهاء، فأبها الجميلة الحالمة بهوائها، وأشجارها ، والحياة المتحركة فيها ،توحي بالديمومة والجمال والعطاء، وهي صورة تشبه إلى حدّ كبير حركة الكواكب في الفضاء في ليلة تزينت بالنجوم.

وفي هذا السياق نجد الشاعر أحمد بيهان في ديوانه نزيف المشاعر يحاول أن يضمن أبياته معنى قوله تعالى: {فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢} [سورة الرحمن: ٧٠-٧٢]

فيقول من قصيدة بعنوان :(إلى أبها)[1] :

فُوجئتُ بـالحورِ الحِسـانِ فأيقنـتْ رُوحِـي بوصـفِ اللهِ في جَنَاتِـهِ

(١) بيهان ، أحمد عبدالله ، ديوان نزيف المشاعر ، نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٤هـ ص ١٨٤.

مَا هَذهِ الفِردوسُ بلْ هِي جنةٌ في الأرضِ يَعشقُها الجمالُ بذَاتِهِ

فهو هنا يريد أن يحادث أبها، ويذكر شيئاً من جمالها، فلم يجد ما يجعله رمزاً دالاً عليها أجمل من أن يُضمن حديثه ومناجاته لها تلك الآية الكريمة ، المليئة بالحيوية والجمال ، وهي صورة موحية ممتلئة بالصور والمعاني ؛ فالفردوس ، والحُور الحسان، والجنَّة ، كلها تجتمع مع أبها في الجمال والكمال والبهاء .

أما الشاعر عبدالله الزمزمي فيتخذ من قوله تعالى في سورة مريم ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم:٢٥] مادة لشعره فيقول في قصيدة(اشتياق) من ديوان مواجع قلب[1] :

هُزّي إليكِ بجِذعِ الُودِ وازدَادِي وانصِفِي القلبَ مِنْ أقوالِ حُسّادي

روضُ الرِيَاضِ إذا مَا زُرتُهُ ارتَسَمتْ بِهِ الآزاهِرُ واشتاقتْ لميعادِ

فتلك الحركة الهادئة التي قامت بها مريم في حالة الولادة لتهُز بها جذع الشجرة الثابت ،يمثله مع أبها تلك الصورة الموحية بهزِّ الوُدّ ، وهي صورة حركية تنبض بالحياة ، فكيف إذا كان ذلك الهزّ مع كل تلك الرياض والأزاهر المشتاقة للحياة .

وممن أفاد من المعنى القرآني الشاعر تركي العصيمي في قصيدته التي يصف فيها أبها المدينة الساحرة [2] :

---

(١) الزمزمي ، عبدالله محمد ، ديوان مواجع قلب ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٤.

(٢) العصيمي ، تركي بن صالح ، ديوان قلب في أبها ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ ، ص ١١٦.

وقفتُ وقَدْ نَامَ الخَلائقُ إلى الأفقِ الدَاجي بطَرفٍ مُسهدِي

ووليتُ أبها شَطَرَ وَجهي وأهلُهَا ووليتُ شَطَرَ البيتِ وجهي

وإنّي لأهواهَا لُحبي لأهلِهَا فَصارتْ تَرى عيني ثَرَاهَا كَمسجدِ

ووادٍ سَقَاهُ المُزنُ حَتى أفَاضَ فَأضحَى كَصرحٍ مِنْ زُجَاجٍ ممردِ

لقدْ خَصها البَاري بُحسنِ طبيعةٍ فلَيسَ عليها للحضَارةِ مِنْ يدِ

ألا أنَّ أبها منبعُ السِحرِ والهَوى فغَنِي وَرائي يَا قلوبُ ورددي

ويَا قَلمي صِفها وياشعرُ قُلْ لَها ويَا ليلُ بلّغهَا ويا أنجمُ أشهَدي

فقد نظر إلى قوله تعالى حكاية على لسان سليمان – عليه السلام – : {قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤} [سورة النمل:٤٤] ، وأستمد منها هذا المعنى ، وتلك الصور الجميلة ، للقصر الممرد بالقوارير كذلك أبها في نظره ،تلك الحسناء التي لم تمسسها يد صانع ، بل هي منبع السحر والجمال، فواديها الأشم كالصرح الممرد بالقوارير، ظاهره كباطنه صفاءً ونقاءً .

وفي زاوية أخرى من وجدانيات شعراء أبها ، ومعايشتهم لواقع أمتهم ، في أي مكان من هذ الوجود نجد بيهان يصف كشمير (وهي

الجزء المسلم بين الهند وباكستان)ويشببها بجنة (عدن) التي أصبحت رمزاً للخلود مع الجمال ، فيقول[1] :

كشمير يا عروس الزمان وتاجه يا فتنة تنساب في أوصالي

ما أنت إلاّ (عدن) لولا أنها تبقى .. وأنت مدينة بزوال

وقد استل هذا المعنى ، من قوله تعالى :{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾} [سورة التوبة:٧٢]

(١) نزيف المشاعر ، ص ١٨٩.

لم يتوقف شعراء أبها عند استلهام معانيهم ، ومشاعرهم عند القران الكريم فحسب ، فقد كانت شخصيات الأنبياء ، والصحابة الكرام، ميداناً واسعاً ، ليبثوا شيئاً من تجاربهم ، ويستلهموا من تلك القامات معانٍ كبيرة، لاتزال تتضوع مسكاً ، كلما طال بها الزمان، وتعاقب عليها الجديدان ، ولعل شعراء أبها وجدوا في سيرة نبيهم- ﷺ- ما جعلهم لا يفتأون في ترديد مواقفه، واستلهام سيرته العطرة ، وجعل تلك المواقف، والشخصيات، رموزاً دينية تاريخية، دالة على كثير من المعاني ، ومن هؤلاء الشعراء الذين استوقفتهم سير رسول الله- ﷺ- الشاعر أحمد بيهان، في قصيدته التي خاطب به جزيرته العربية ،ليجعله بذلك علامة على عظمة هذه الجزيرة وقدسيتها ، فيقول في قصيدته (إلى جزيرتي)[1] :

أجزيرةُ أنجبتْ مثلَ (محمّدٍ) هَادي البَريةِ سيدُ الشُفعاءِ

وتَنَزلتْ فيكِ الملائكُ بالُهدى أو نجدةً لِفدا أبي الزهَراءِ

بُهداهُ جَاوزتُ النجومَ مكانةً ونميتُ آي العِزةِ القَعساءِ

(١) نزيف المشاعر ، ص ٢٧.

وفي مكان آخر من ديوان بيهان يذكر بعضاً من هؤلاء الأنبياء الكرام ، فأيوب الصابر المحتسب ، الذي أصبح شعاراً للصبر على مر الدهور ، يتحدث عنه، وأن الصبر الذي لديه هو كصبر أيوب . عليه السلام، فيقول في قصيدة بعنوان (شفاف قلب) عن صبر أيوب الرمز الصابر[1] :

أيـــوبُ رأسُ الصَـــابِرين أظُنُّـــهُ سَـيغارُ مِـنْ صَـبري علـى أسـقَامِي

أنَـا لا أقـولُ تَرفقِـي يـا فِتـنتي بـلْ عَـذبي قَلـبي الجـريحَ الـدامِي

وفي هذا السياق لا يغفل الشعراء ، أبا البشرية ، آدم . عليه السلام . إذ يجعله الشاعر بيهان ، رمزاً للاعتراف بالخطأ، والعودة إلى الصواب، والندم على ما فات فيقول في قصيدة بعنوان (اعتراف)[2] :

أنَـا مَـا سلُوتكِ يـا عسـيرُ ورُبمـا غارَ السَموْالُ مِنْ عَظيمِ وَفَـائِي

وا لوعَتَـا يَـا (عـدنُ) إنـي آدمٌ أُقصِيتُ عَنكِ وما جنتْ حَوبَـائِي

ذَنـبي كـبيرٌ بـأنَني مُـتعطشٌ للعِلـمِ لكـني فقـدتُ رجَـائِي

ونجده كذلك يستلهم قصة يوشع بن نون صاحب موسى فيقول في قصيدة (العاجزون)[3] :

---

(١) السابق ، ص ٤٩.

(٢) السابق ، ص ١٠.

(٣) نزيف المشاعر ٣٩.

إنَمـــا " إيـــلاتُ " قَـــدْ دَمّرهَـــا زورقٌ حـــلَّ بـــهِ طَيـــفُ مُنَانَـــا

فأعـــدْ شَمسَـــكَ مِـــنْ مَرقـــدِها لا تقـلْ (يوشـعُ) قـدْ أودى فَبَانَـا

وهي قصة حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون عليه السلام التي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ" :غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضْعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها ولما يبنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سُقوفها، ولا آخرُ اشترى غنماً أو خَلِفَات وهو ينتظر وِلادَها، فغزا فَدَنَا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا؛ فَحُبِسَتْ حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تَطْعَمْها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فَلَزِقَتْ يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فَلَزِقَتْ يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضَعْفَنا وعَجْزَنا فَأَحَلَّها لنا"(١).

ومن الرموز التاريخية شخصية (هاروت) الذي أصبح رمزاً للسحر وتأثيره والذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم ، في سورة البقرة، ولذلك يستلهم بيهان هذا المعنى ، فيقول في قصيدة (عد حيث جئت) (٢):

مـا بـالُ عَـينـي لا تُصـدقُ مَـا أرى منْ أنتِ يـا ذاتَ الجمـالِ السـاحرِ؟!

(١) مسلم (١٧٤٧)، والبخاري (٣١٢٤)، واللفظ له..

(٢) نزيف المشاعر ، ص ٩٢.

قالتْ أنَا السِحْرُ .. الذي أدلى بهِ (هاروتُ) في وهجِ الزمانِ الغَابرِ

وكان بكاء أيوب على أبنه يوسف- عليهما السلام- حتى فقد بصره ، مادة يعبر بها الشاعر عبدالله الزمزمي ، عن ألمه ومعاناته ، وبكائه وحزنه فيقول في قصيدة بعنوان (وقفة مع شجرة)[1]:

غَابَ عَني لونُ الربيعِ لأنّي نحوَ دَربِ الفَنَاءِ شدَّ وثاقِي

وأحالَ الضمورَ لَوني فأضحى مثلَ (عيني يعقوبَ) بعدَ الفِراقِ

سَامحيني إذا ارتحلتُ بعيداً علَّ حُزني يزولُ عندَ انطلاقِي !٠٠

أما سيرة الفاروق- رضى الله عنه - فقد كانت من أكثر السير استلهاماً بين الشعراء ، فعمرُ العادلُ ، وعمرُ الصابرُ ، والخائف من الله ، والذي يعود إلى الحق ، ولا يمنعه من ذلك مكانته ولو كان خليفة للمسلمين ، يقول عنه الشاعر عبدالله الزمزمي ، ويذكر وقوفه عند الحق [2] :

يتهللُ الفاروقُ حينَ يردهُ عَنْ رأيهِ بالحقِ بعضُ إماءِ

حمداً لكَ اللُهم أخطأ حكمةً " عمرُ " ..وقالَ الحقُ ذاتُ خباءِ

وي إنهَا حُريةٌ لم تكتحلْ عينُ الزمانِ لمثلِها بكفاءِ

(١) مواجع قلب ، ص ٣٢.

(٢) نزيف المشاعر ، ص٢٥.

وهو هنا يستلهم تلك القصة التي رواها مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصَّدُقات فيما بينهم أربع مائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنَّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربع مئة درهم ، قال : ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيتَ النَّاس أن يزيدوا في مهر النساء على أربع مائة درهم ؟ قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأي ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول{ پ پ پ } [سورة النساء: ٢٠] ؟ فقال : اللهمَّ غفراً، كل النَّاس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر ، فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مائة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب . قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل) [(١)] .

أمّا عمر العادل ، فقد أفاض الشعراء في التغني بذلك العدل ، فإذا ذُكر العدل ذُكر عمر بن الخطاب يقول عبدالله الزمزمي في ديوانه "مواجع قلب " في قصيدة بعنوان "عبرة الحزن"[(٢)] مخاطباً عمراً رضى الله عنه . :

(رضى الله عنك يا من قلت : والله لو عثرت بغلة بأرض العراق لخشيت أن يسألني الله عنه ، لما لم تمهد لها الطريق)

قلتَ لي : من تكونُ ؟ قلتُ جريحٌ جئتُ عمداً لكي أبثَّكَ ما بي

(١) الحديث ضعيف ، الضعفاء والمتروكين " لابن الجوزي (٣ / ٣٥).

(٢) مواجع قلب ، ص ١٢.

قلتَ لي : ما الجراحُ ؟ قلتُ دعيهَا ... إنَّ أقسَى الجراحِ جرحُ شبابي

عمرٌ رحلتي إليكَ اشتياقٌ ... ودروبي تموتُ فيهضا رِكابي

عمرٌ نشتكي الكرامةَ قوماً ... رمقوهَا بنظرةِ المتغابي

عمرٌ لو رأيتَ مأساةَ قَومي ... لأذقتَ السيوفَ طعمَ الرقابِ

عمرٌ لو رأيتَ مأساةَ قَومِي ... لتناسيتَ طعنةَ المحرابِ

عمرٌ ما كبَا جوادُ ولكنْ ... ماتَ شهمٌ غدراً بلا أسبابِ

قدْ تموتُ الجراحُ في الصدرِ لكنْ ... سوفَ تَبقى آثارُ طعنِ الحرابِ

أما غضب عمر –رضى الله عنه– لله، ومواقفة الشجاعة في الحق، فمن ذا لا يذكرها ، فقد غضب على أبي عبيدة لما دخل القدس، لما عاتبه على أنه لم يلبس ملابس تليق بمقام الخلافة ؛ لأن عمر – رضى الله عنه – لا تغره المظاهر وإنما الذي يحزنه أن يبقى المسجد الأقصى بيد أعداء الله ، يقول الشاعر زايد محمد الكناني في ديوانه (تقاسيم زامر الحي) من قصيدة بعنوان (رحيل البدر) [1] ، يُذكّر بغضبة عمر ، ونصرته للحق :

المسجدُ الأقصى يُهودُ جهرةً ... وتنالُ منهُ شراذمُ الأقزامِ

والمسلمونَ يُشردونَ وبُؤسُهمْ ... تمتاحُ منهُ وسائلُ الإعلامِ

(١) كناني ، زايد محمد ، ديوان تقاسيم زامر الحي ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٢هـ ، ص ١١٨.

لا غضبةُ الفاروقِ تُنقذهم وقدْ شكتْ الأنوفُ روائحَ الأجسامِ

ومن الرموز العظيمة في تاريخنا الإسلامي المجيد (خالد بن الوليد) الذي خاض نحو مائة معركة، خلال مسيرته العسكرية دون أن يُهزم، مما جعل منه واحدًا من خيرة القادة عبر التاريخ، تلك السيرة العطرة لهذه الصحابي الجليل جعلت الشعراء يستلهمون شجاعته، ليُعبّروا بها عن حالهم، وحال أمتهم، وما يعانون من ضعف وهوان ، ولذلك نجد الزمزمي يخاطب خالد واقفاً على قبره منادياً ، مستلهماً ، تلك السيرة فيقول في ديوانه " هذا أنا" في قصيدة (وقفة أمام قبر خالد بن الوليد)[1]:

يا مسجِى منْ بعدِ طولِ الجهادِ كيفَ ألفيتَ طعمَ هذا الرقادِ

هلْ سمعتَ النِداءَ يَسري جريحاً وأسى السيفِ والقَنَا والجوادِ

ليسَ عيباً بأن أبثكَ حُزني حينَ يَروي التاريخُ عن أجدادي

لستَ تَدري ولستُ أدري ولكنْ حسبُنَا أنَنَا على ميعادِ

ولم يتوقف الشعراء عند الشخصيات الإسلامية ، بل تعدى ذلك إلى المناسبات الإسلامية ، فهم يتغنون بها ، ويترنمون بذكرها ، فرمضان

(١) الزمزمي ، عبدالله محمد ، ديوان هذا أنا ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢١هـ ، ص ٦٩.

عدوه رمزاً للتوبة والصبر على مشاق الحياة ، يقول أحمد التيهاني في ديوانه (أماريق) في قصيدة بعنوان (رمضان في الزمن الخصيب) [1]:

ونما الشعورُ ..

حتى ملكتُ مليكتي ..

فسكنتُ أحداقَ الغيوم ..

رمضانُ ..

حبٌّ ..

وسمو ...وصلاتٌ ..

وصلاةٌ ..

من خلال هذه الجولة يتضح مدى ثراء الرموز التاريخية الدينية، التي حاول الشعراء في أبها ، أن يتفاعلوا معها ، وأن يضمنوها قصائدهم، ولعل الخلفية الدينية الايمانية ، التي يتمتع بها أغلب الشعراء جعلتهم يستلهمونها في شعرهم، ويربطون واقعهم بها ، فتلك الرموز التي يتقبلها القارئ، ويسعد بها، إلا أن الملاحظ أن توظيف تلك الرموز كان في الغالب، توظيفاً سطحياً ، لا يحتاج لكثير عناء، في البحث عن سبب حضوره في ثنايا قصائدهم ، فيكفيك أن تقرأ هذا الحضور مباشرة لتعرف لماذا جاء به الشاعر في قصيدته .

لقد جاء الرمز الديني في الخطاب الشعري ، لدى شعراء أبها ، مندرجاً في بنية القصيدة المتكاملة، فقد استخدم الشعراء العناصر الدينية ، ووظفوها لتحقيق أهداف معنوية من خلال التمثيل والمشابهة بالدلالة

---

(١) التيهاني ، احمد عبدالله ، ديوان أماريق ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٠، ص ٢٧.

المغايرة أو المماثلة، وتُعد القصيدة المعاصر في المملكة أكثر غنى وتنوعاً لاستمدادها بالمعطيات الضخمة من الشخصيات والمواقف الدينية التي وظفها الشعراء توظيفاً بنائياً تكاملياً، ويمكن في هذا السياق أن نقف عند قصيدة (عبرة الحزن) للشاعر عبدالله الزمزمي ، حيث يسرد الشاعر قصة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وعبرته التي أفاضها خوفاً من الله تعالى ، أن يسأله عن دابة سقطت بأرض العراق ، لماذا لم يصلح لها الطريق !!.

ولا يخفى على الناقد أن كل مشهد من مشاهد هذه القصة "قصة عمر " يمثل رمزًا تشع فيه روح الحياة، حيث يعبَّر عن مواقف متعددة في أزمان متعددة كذلك، وربما تجسد في الرمز من خلال هذه القصيدة هيمنة الصراع بأشكاله المتعددة ، ما بين صراع الذات مع الذات، وصراع الذات مع الآخر، لقد تجلت هذه الأبعاد الرمزية ذات المكون الديني في شكل حوارات متتالية ، يحاور بها الشاعر أمته المسلمة ،ثم ينتقل الشاعر لمخاطبة عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ ، وهذا الحوار الذي يتذكر به ماض الامة المجيد ، وما وصلت له اليوم من ذل وهوان ، والشاعر يجعل عمراً ـ رضى الله عنه ـ رمزاً لعزة الأمة ، ومجدها ،فإذا ما أرادت الأمة أن تعود لسابق مجدها ، فهذا هو الطريق ، وتلك سيرة هذا الرجل فاقتدوا به، وهو هنا يجعل من هذا الخليفة المسلم العظيم رمزاً للعدالة والقوة ، ولذلك فإن "المكون الديني في الخطاب الرمزي عند شعراء ابها يسهم في تعميق البنية الموضوعية للقصيدة كما أنه يمثل وسيلة من وسائل المعالجة الفنية على المستوى الفردي المباشر والمستوى التركيبي في سياق النص، وهنا

تتأكد العلاقة بين الدلالة الدينية والدلالة اللغوية في مسار النصوص الشعرية "[1] .

(١) أبو بكر أحمد، د. أسماء، آليات التناص النوعي في شعر الحداثة منشورات مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ط(١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ص٤٦-٤٨.

ثانياً :الرمز الثقافي والأدبي

يستمد كثيرُ من الشعراء عبر العصور المختلفة بعضاً من رموزهم الشعرية من ذاكرتهم الأدبية والثقافية ، فتاريخ أدبنا العربي مليء بكثير من المواقف، والشخصيات ، التي يستمد منها الشعراء العرب – وشعراء أبها خصوصاً – مادة خصبة في شعرهم ، وكتاباتهم ، وسأتناول هنا تلك الرموز الأدبية والثقافية التي كان لها حضور لافت عند شعراء أبها، محاولاً الوقوف على أهم جوانب ذلك التمثل والحضور في كثير من قصائدهم، ولعل من أهم الرموز الأدبية المستلهمة في شعرهم شخصية (قيس بن الملوح) الشاعر العاشق ، وهو يمثل رمزاً للحبّ المجنون ، والعشق الساكن في الضمير ، يقول بيهان في ديوانه نزيف المشاعر في قصيدة " شفاف قلب "[1]:

مَـالي فَقَـدتُ تَعقلِـي وأصَـابَني ... مثلُ الجُنونِ المحضِ مِنْ أُوهَـامِي

يَا حُبُ يَا همسَ العَواطفِ في دَمَي ... مَـاذا فَعَلَـتِ بهيـبتي ومَقَـامِي

مَـا قَـيسُ مَـا المجنـونُ إلا ذرةٌ ... وأنَـا خضـمٌ زاخـرٌ مُتَرامِـي

(١) نزيف المشاعر ، ص ٤٨.

ومن الشخصيات الحاضرة في ذاكرة الشعراء ذلك العاشق الوله (كثّير عزة) ، وهو من الرموز التي انتخبها الشعراء تعبيراً عن حالة الحبّ والعشق ،مع ذكر لسعة الألم التي يمثلها ذلك العاشق المحروم ، فيقول عنه بيهان في قصيدة (شفاف قلب) [١] :

مَـا ذاقَ مـنْ ألمٍ كُثيَّـر عـزةٍ معشـارَ مَـا أُخفيـهِ عـنْ لُـوّامي

أما الشاعر العربي (السموأل بن عادياء) الذي قال فيه الاعشى مدحاً[٢] :

كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ طَافَ الْهُمَامُ بِهِ فِـي جَحْفَـلٍ كَسَـوَادِ اللَّيْـلِ جَـرَّارِ

بِـالأَبْلَقِ الْفَـرْدِ مِـنْ تَيْمَـاءَ مَنْزِلُـهُ حِصْنٌ حَصِـينٌ وَجَـارٌ غَيْـرُ غَـدَّار

فقد كان يُضرب به المثل في الوفاء ،حتى أصبح رمزاً لتلك القيمة ،التي يفتخر بها العرب ، ويتنافسون في المديح بها، ومن يتصف بها لا يغدر مهما كان السبب، حتى قيل في أمثال العرب (أوفى من السموأل) ، يقول عنه بيهان [٣] :

أنَـا مَـا سَـلوتكِ يَـا عسـيرُ وربَمـا غـارَ السـموألُ مـنْ عظـيمِ وفـائي

يَـا فتنـةً سـجدَ الجمَـالُ مُسـبحاً مـنْ فَـرطِ حُسـنِ مُرُوجـكِ الخَضـراءِ

---

(١) السابق ، ص ٤٨.

(٢) الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوان الاعشى الكبير ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان،٢٠٠٥م، ص ١٧٩.

(٣) السابق ، ص ٩.

وهنا يؤكد الشاعر على أن وفاءه لأبها يفوق ما كان يوصف به السموأل ، بل يصل بها الأمر إلى الغيرة من عظيم الوفاء، والذي دعاه لذلك الجمال الفاتن الذي تتميز به هذه المدينة الحالمة .

ويُعد الشاعر الجاهلي (عنترة بن شداد العبسي) من الشخصيات التي يضرب بها المثل في الشجاعة ، وقد نال حظاً وافراً لدى الشعراء ، فإذا ذكرت تلك الصفة فلن يتبادر إلى ذهنك غير عنترة ، الذي جمع الفروسية، والشجاعة، والكرامة، وهو عند شعراء أبها رمزٌ لكل تلك الصفات ، وكثيراً ما يرد في قصائدهم ، ومن ذلك ما قاله عنه بيهان[١] :

أو ليسَ عنترةُ الفوارسِ نفحةً ... عطريةَ الأنفاسِ في أرجَائِي

قلبٌ حديديٌ ... وسيفٌ صارمٌ ... وبَسالةُ الأبطَالِ في الهيجاءِ

إنْ قِيلَ أنّ عنترَ فالفوارسُ رُعَّدٌ ... منْ عَزمِةِ ... جبارةِ ومضاءِ

أو قِيلَ عَبلةَ فَهُوَ قَلْبٌ واجفٌ ... روحُ تَفيضُ بدمعةٍ حمراءِ

يَا جامعَ الضِدين في أحشَائه ... قَلْبُ الشجاعِ ومُهجةُ الحسناءِ

أمّا كرم (حاتم الطائي) فقد أصبح مضرب المثل لدى الشعراء عموماً ، وشعراء أبها خصوصاً ، يقول عنه بيهان في قصيدته(إلى جزيرتي)[٢].

أجزيرةُ ألهبتِ عنترَ نخوةً ... أولستِ منْ أشعلتِ جُودَ الطائِي

(١) السابق ، ص ١٨.

(٢) السابق ، ص ٢١.

لمْ يعرفْ الكرمُ الأصيلُ كحاتمٍ ... منهُ النَدى يُغضي بِكِلِ حَيَاءِ

أمَ الديارَ فلمْ يجدْ إلا فتى ... طلقُ السِماتِ بمبسمٍ وضاءِ

هَلّا بهِ .. فأجابَ إنَّ ضِيافتي ... منْ حَيكمُ فوزي برأسِ الطائِي

فأجَابهُ أنَا حاتمٌ فاظفرَ بهِ ... رُوحي فِدا ضَيفي وثرُ دمائِي

كما لم يغب (المتنبي) الذي أشغل الناس قديماً وحديثاً ، عن شعراء أبها ، يستلهمون شاعريته ، ومواقفه ، تقول عنه فاطمة القرني في قصيدتها (وزائرتي كأن بها حياءً..)[1]:

أساهرُ شَقوتي بالشعرِ ؟! أهَلاً .. ...أُغني .. جمرها بردى ... سَلامي

ولكنْ مال " بنتُ الدهرِ " مَسرىً.. ... إلى لحنٍ .. وما أغنى التّعامِي

بلَى جَارتْ . فمَا أبقتْ صَواباً .. لذي وجدٍ .. مُدى للمستهامِ ..

بلَى يا عينُ .. زارتْ ثمَّ جارتْ .. .. فطلْ يَا ليلُ واقصرْ يا ملامِي !!

ويبعث الزمزمي رسالة إلى أبي الطيب المتنبي ،بعد أن قرأ قصيدة المتنبي (لك يا منازل) فيقول في قصيدته "رسالة موجزة إلى المتنبي "[2]:

---

(١) القرني ، فاطمة ، ديوان عندما غنى الجنوب ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢٩هـ ، ص ١٢.

(٢) ديوان هذا أنا ، ص ٣٣.

زارعُ الشـــوقِ والحـــنينِ بقلـــبي كيـفَ أجريـتَ أنهـراً بعـدَ جـدبِ

امتطيـــتُ الأشـــعارَ نحـــوكَ لمـــا رسمـتْ لـي الأشـواقُ رحلـةَ دَربـي

وعـــبرتُ الزمـــانَ جِســـراً وقَلـــبي وهمُـومي مَـا بَـين سـلمٍ وحـربِ

حفـظَ الـدهرُ مَـا نطقـتُ وأملـى أيّـــدرٍ نظمـــتَ . يـــا مُتـــنبي

أما الشاعر التيهاني فيستلهم قصيدة (الشنفرى الشاعر الأزدي) عمرو بن مالك الأزدي :

أقيموا بني أمي صُدورَ مُعطيكمْ فَـإنِي إلى قـومٍ سُـواكم لأميـلُ

فيقول في قصيدة له بعنوان (مقال العائدين)[1] :

روي الحجاج إذ عادوا ..
فصولاً تبهر العينين بالومضة ..
وفي التاريخ أغنية
وأخلاق و" لامية "
بها الأزدي في رفضه
ينادي المبدأ الآتي :
((أقيموا يا بني أمي ..
صدور مطية المنأى
لأن الحقّ في ذاتي ..
يخلق مضغة الرحلة

(١) ديوان أماريق ، ص ١٤٠.

ويبقى السؤال الأهم كيف وظف الشعراء هذه الرموز الثقافية في تحقيق ما يسعون إليه ؟

لقد كان للشعراء القدامى – وبخاصة المشاهير منهم– حضور بارز في وجدان شعراء أبها ، فقد استحضروهم كرموزٍ شعرية لها مكانتها في الذاكرة العربية، وغدت تلك الأسماء ملهمة لهم، يعبّرون بها عن قضاياهم العصرية المختلفة ، فالمتنبي – مثلاً – كان ولازال اسمًا له حضوره الرمزي الطاغي عند كثير من الشعراء ،حفلت به قصائدهم، فنجد الشاعرة فاطمة القرني في قصيدتها " وزائرتي كأن بها حياءً.."[1] ، تتخذ من أبي الطيب المتنبي رمزًا أدبيًا تستوحي منه بعض الدلالات الأدبية والتاريخية ،وتتناول قصيدته المشهورة في الحمى، لتعبّر بها عن حالتها النفسية ، فحالة المتنبي النفسية التي مر بها ، خصوصاً عندما كان تحت الإقامة الجبرية عند كافور الإخشيدي، وصلت به إلى أعلى مراحل اليأس والضعف، إلا أنه قاوم كل ذلك ، وخرج من مصر ، بعد أن فارقته الحمى ،وهي الحالة التي تمثل الشاعرة لتتجاوز معاناتها وآلامها.

ومن الشعراء الذين أتخذوا من المتنبي رمزاً أدبياً، وثقافياً، الشاعر عبدالله الزمزمي الذي بعث رسالة موجزة– كما يقول– إلى المتنبي[2] بعد أن قرأ قصيدة (لك يا منازل) والشاعر الزمزمي يجعل من المتنبي رمزاً ومثالاً يشاركه شوقه ، وحنينه ، وقد ألهمت قصيدة المتنبي الشاعر تلك المشاعر، فالشاعر يمتطي صهوة أشعاره عله أن يصل إلى المتنبي ، وهو

---

(١) ديوان عندما غنى الجنوب ، ص ١٢.

(٢) ديوان هذا أنا ، ص ٣٣.

يقصد بذلك المنازل التي شهدت حبه ، وإذا علمنا أن الزمزمي، كان مغرماً بالشام ، وكان يقضي كل صيف هنا حتى هده المرض وألزمه الفراش ، ولعل هذه القصيدة قيلت في ذلك الوقت .

ثالثاً : الرمز السياسي

يُعد الرمز السياسي ذروة نجاح الحركات السياسية والاجتماعية ،وقد ينشأ استجابة لاحتياجات ورغبات قوى سياسية أو اجتماعية، في ظل ظروف مواتية واستجابات ومقاربات تنسجم مع البيئة، وتتوجه معها لإنتاج رمز يمثل أفضل ما لديها، وفي الأدب يبقى للرمز السياسي حضوره الكبير ، ولذلك نجد الشعراء ينتخبون من الأحداث، والشخصيات السياسية ما يجعلونه رمزاً حاضراً في قصائدهم ونتاجهم الأدبي ، يستلهمونها ويعبّروا – ولو من طرف بعيد – عن حياتهم السياسية التي يعيشون فيها، بل يحاولون أن يكونوا جزءً من تلك الحياة، وشعراء أبها كغيرهم من الشعراء ، تستوقفهم كثير من الأحداث والشخصيات السياسية ، فيضمنونها قصائدهم ، فنجد شاعراً مثل أحمد بيهان يستذكر داحس والغبراء ، تلك الواقعة التي نشبت فيها الحرب بين قبيلتين في الجاهلية، واستمرت أربعين سنه، حتى تدخل من تدخل للصلح ، فخمدت نارها ، يقول في قصيدة بعنوان " إلى جزيرتي " [1] :

عربٌ تَكادُ تُحسُ في أحداقِهم ... وَهجُ اللهيبِ .. وقسوةُ الصحراءِ

لمْ يشهدُ التاريخُ أبشعَ وَقعةً ... من داحسِ المشؤومِ والغبراءِ

(١) السابق ، ص ١٨.

وهو هنا يرمز بهذه الحادثة إلى خطورة الاختلاف، والتناوش ، والاعتداء على الآخرين ، وهو في هذه القصيدة يلمح إلى ما آلت إليه هذه الجزيرة من نعمة الاستقرار ، والأمن ، بعد سنوات من الضياع ، والاختلاف ،والخوف ، فهو يحذر من كل ذلك من خلال تذكير الناس بحرب داحس والغبراء التي فتكت في الناس زمناً طويلاً ،ومن هنا أصبحت رمزاً معبراً عن خطورة الاخلاف ، والدعوة إلى الاجتماع والوحدة .

ومن المواقف التي استوقفت شعراء أبها ، مخاطبة هارون الرشيد السحابة، بعد أن بلغ ملكه ودولته مبلغاً عظيماً ، فيقول لها لما راها تمر على بغداد دون أن تمطر (أمطري حيث شئيتِ فسيأتيني خراجك)، فيستلهم الزمزمي تلك القصة في ديوانه (هذا أنا) وفي قصيدة بعنوان (إنه موطني) [1] فيقول :

صورٌ ترتِمي أمَامِي عَطشى ... ثمَّ تَروى على صَدى تِحناني

فهنَاكَ " الرشيدُ " يُلقي سؤالاً ... ما صنعتمْ للمجدِ في أوطاني

يأتي . بعدكم سحائبُ خيرٍ ... أبدلتْ في سَمائنَا بالدُخانِ

(١) ديوان ، هذا أنا ، ص ٧٩.

وفي هذه الأبيات للزمزمي يصبح الرشيد رمزاً سياسياً مُعبّراً عن القائد الحكيم الذي يملك مقومات تجعل منه موقناً بأن الخير سيعم جميع وطنه ، وفي ذلك إشارة إلى العدل والمساواة بين أفراد الشعب ، فلا تفضيل لإقليم على آخر ، ولا عرق على عرق ، بل الجميع سواسية تحت هذا الحكم ، وهو هنا يمثل هذه البلاد بما أعطاها الله من نعم عمت الجميع .

الرموز التاريخية السياسية عند شعراء أبها لا تقتصر على المسلمين فقط، بل قد تمتد إلى غيرهم ،فالإسلام دين شامل، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جليَّة في عطاء الإسلام الحضاري، فهو يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، والفكرية، كما أن الإسلام يشمل كل متطلبات الإنسان الروحية، والعقلية، والبدنية ، وتلك الحضارة شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء ، ولذلك نجد الشعراء يتنافسون في ذكر تلك المآثر ، ويؤكدون على تلك الفضائل ، وتلك الحضارة التي ما عرف التاريخ مثلها ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد بيهان فينادي في قصيدته(شارلمان) ، إمبراطور الدولة الرومانية [1] فيقول :

صنعوا بهِ في الكونِ خيرَ حضارةٍ أقوى مِنْ الفولاذِ عندَ لقاءِ

منْ علّمَ الدنيا الصناعةَ قَبلنَا يا شارلمانُ أجبْ بلا استحياءِ

لقد كانت بين شارلمان وخليفة المسلمين (هارون الرشيد) في بغداد مراسلات ، وقد أرسل له الرشيد هدايا، منها ساعة مائية كلما مرت ساعة تخرج جنوداً بعدد الساعة المطلوبة وتدق، وقد كان لهذه الساعة وقع على الحضور من حاشية (شارلمان)، ووزرائه لدرجة أنهم هربوا واعتبروا أن

(١) ديوان نزيف المشاعر ، ص ٢٥.

ذلك من عمل الجن ، والشاعر في الأبيات يجعل من شارلمان رمزاً لحضارة المسلمين التي وصلت كل مكان .

ومن الرموز السياسية التي يستلهمها شعراء أبها الإمام محمد بن سعود – رحمه الله – هو أحد الرواد الكبار، والبناة العِظام في تاريخ أمتنا الخاص والعام، فقد قيضه الله تعالى لكي ينهي – بتوفيق الله – حقبة عصيبة تراكمت فيها البدع والمظالم والجهالة، وانحرفت عقائد كثير من المسلمين، ولكي يبدأ عهداً جديداً قوامه عقيدة التوحيد الصافية، وشريعة الإسلام الخالدة العادلة، فقد نصر الإمام دعوة الإسلام، وسخر سلطانه ووسائل ملكه لتجديد دعوة التوحيد، وتطبيق أحكام الشريعة. وبنى مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذه الدولة على كتاب الله وسنة رسوله ، يقول بيهان متحدثاً عن ذلك الإمام الذي أصبح رمزاً للإصلاح في هذا العصر، ورمزاً للوفاء لدعوة الحق التي جاء بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1]:

ابن السعودِ دعَاكَ يا شيخَ الهُدى أحميكَ مَا أحمي دَمي ونسائِي

يا نخوةً عربيةً مُضريَّةً ... بكَ دبَّ روحُ الحقِ في الأرجاءِ

(١) السابق ، ص ٢٩.

رابعاً : الرمز الشعبي

يُعد الرمز الشعبي ، جزاءً مهماً من الثقافة ، فهي توفر أرضية خصبة للعمل الفني بما يحويه من معتقدات وعلوم ومعارف قابلة للاستلهام في بناء وتأسيس الأعمال الفنية، ويمثل الموروث الشعبي ذخيرة كبيرة، يستمد منه شعراء أبها كثيراً من تجاربهم الشعرية، لكونه يعكس الذاكرة الجمعية للمجتمع ، ويعّبر عن أبرز خصائص تكوينه المعرفي، والثقافي، وقراءة متأنية في تجارب هؤلاء الشعراء تكشف عن استلهامهم لهذا الموروث بكل أبعاده ومضامينه الإيجابية منها والسلبية.

ومن الشخصيات الشعبية في أبها ؛ الشاعر الشعبي الكبير علي بن محمد بن شاهر عسيري، الملقب بـ(**إبر عشقة**) ، الذي له حضوره الكبير في ذاكرة أبها الشعبية حتى بعد رحيله ، ولذلك نجد مريع سوادي ، يضمن بعضاً من قصائده تلك الشخصية ، فيقول في قصيدة بعنوان "مسارب باقية"[١] :

ألم تسألي وردة الصبح يوماً ؟ لماذا ..
نؤوب إلى عتمة الليل ؟..
حين نُفطر أنفاسنا ..
والمكان حفيّ..
وماءُ السماءِ ...
وحناءُ بدر السماء ..

---

(١) سوادي ، مريع ، ديوان وشايات قروية ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢٣هـ ، ص ١٧ .

ومنديل راعية في حقول النّوى هزّها ..

(قال ابرعشقه) فاعتلى ..

سبحها شدو ذاك الغناء

ويذكره مرة أخرى في قصيدة أخرى بعنوان " ذكرى المُغنّي" [١] :

حين أشتاق ، وأضواء لنا في الدار ..

لا زلت تغني :

(ليت ونيٍّ وبر عشقه لا يونيٍّ)

ينثر الحناء في لحني وغصني .

ومن الرموز الشعبية ، التي يستخدمها شعراء أبها ، " المعادل "[٢] والخرص " [٣]، ولذلك نجد الشاعر أحمد التيهاني يضمن هذه الرموز قصيدته فيقول[٤] :

جاء كل الناس من أجل المشورة

حول "سّراق المعادل "

وضيوف من تهامة ..

وقوانين القبيلة

" خرصها " والواجبات ..

من هنا يتأكد لنا عمق العلاقة بين الانسان ، مهما بلغ من الحضارة والتقدم ، وبين ذاكرته الشعبية ، التي يستقي منها الشاعر ذكرياته ،

---

(١) السابق ، ص ٥٢.

(٢) " المعادل " هي ما توضع في أسقف المنازل قديماً ، لكن لها رقصة شعبيه مرتبطة بها .

(٣) الخرص له مدلولان أحدهما فقهي والأخر شعبي عند أهل أبها .

(٤) ديوان أماريق ، ص ٧٢.

وتجاربه ، وهذا الارتباط يظهر جلياً في استدعاء هذه الرموز القديمة بكل إيحائيتها، وجمالياتها ، لقد عاش الشاعر في أبها ، مسكوناً بتراثه الشعبي، يستمده في لحظة التأمل والألم .

ولمّا كان الرمز الشعبي جزءاً من الثقافة فقد حاول شعراء أبها أن يوظفوا تلك الرموز بشكل يجعلها أكثر تعبيراً ، وأكثر جاذبيةً ، كما فعل أحمد التيهاني في ديوانه (أماريق) عندما تناول (الخرص) وهو أحد الرموز الشعبية في المنطقة ، والمقصود به في المنطقة قد يختلف عن معناه الفقهي، فهو يرمز عندهم للالتزام بتنفيذ ما يطلب من الشخص في بعض المناسبات، عندما يؤول الدور إليه ، في ترتيب تضعه القبيلة ، وتسير عليه .

وهو ما صنعه الشعراء كذلك مع الشاعر (أبر عشقه) الذي أصبح رمزاً شعبياً ، يمثل صوت ورقصات القبيلة العسيرية ، وتناول الشعراء هذا الرمز بطريقة إدخال نص قصائده الشعبية ، في قصائدهم الشعرية الفصيحة ، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ (التداخل الشعري بين الفصيح والعامي) .

خامساً : الرمز الأسطوري :

الأسطورة تقوم مقام الرموز المركزة التي تثري التجربة الشعرية، وتمدها بالدماء، وتبث في عروقها الحياة، وعندما ننظر إلى بدايات استعمال الأسطورة وتوظيفها في العمل الشعري عند شعراء العربية نجدها بدايات ضعيفة باهتة ، لكنها في الوقت نفسه مهمة لأنها فتحت للشعراء مجالاً خصباً ،وطريقاً واسعاً للإفادة من هذه الأساطير المتعددة[١] ، وقد استغل الأديب المعاصر هذه الأساطير وضمنها أدبه بعد أن تعرف عليها وفهم مضامينها ، ومن الملاحظ أن مدى تأثيرها كان شديداً في بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر، و يكاد يكون معظم الشعراء العرب المعاصرون قد استفادوا منها، و وظّفوها في أعمالهم الإبداعية، إذ قلما نجد شاعراً عربياً معاصراً، وبخاصة جيل الرواد إلا وقد استفاد من الأسطورة رمزياً، وإشارياً، واستطاع أن يشكّل منها حالات شعرية رؤيوية، تفاوتت بين الاستعمال الإبداعي، و الاستعمال الوظيفي النصّيّ حسب درجات ثقافتهم و مواهبهم، و كيفية تعاملهم مع الرمز الأسطوري، وشعراء أبها ليسوا بدعاً ممن الشعراء في ذلك فقد تناولوا بعضاً من الأساطير مثل: (فينيس) وهو إله الحب عند الاغريق ، فقد استدعاه أحمد بيهان في قصيدته (عد حيث جئت)ليتحدث عن حالة الحب، ومعاناة الشاعر معها فيقول[٢] :

---

(١) يونس ،محمد عبدالرحمن ،مدخل في مكانة الأسطورة وأهميتها، مجلة العربي الحر ، الشبكة العنكبوتية .

(٢) نزيف المشاعر ، ص ٩٠.

مُنـــى عليَّ ولـو بنظـرةِ ســاخرٍ يَا منْ سكنتِ جَوانحِي ومشاعِري

يَا من نسجتكِ في خيالي صورةً منْ وحي آمالي وفيضُ خَواطري

فينـــيسُ مـــا فنـــيسُ إلا ذرةٌ ضاعتَ وذابتْ في سناكِ الطاهرِ

ومن الأساطير الشعبية التي تناولها الشعراء في أبها (السعلاة ، والوعل ، والهوام) فيستدعيها التيهاني في ديوانه (أماريق)، و يكتبها بالعامية كما ترد على ألسنة الكبيرات من النساء ، فيقول في قصيدته (فيصل والبراءة) [1]:

(في : ((امسعالي .. واموعالي .. وامهوام)

ثار في الصدر سؤال :

ماما . هذا من يكون ؟

فتجيب الأم :

" فيصلنا " فيقنع ..

ويظن الطفل أن الشيخ حكر

ليس للناس نصيب

فهو " فيصلنا " الحبيب

ذاك " فيصلنا " فيرضى ..

ومن الرموز الاسطورية ، زهرة فاكهة الرمان (جلنار) التي تمثل القوى الأسطورية عند القدماء ، ويعتقد الفرس بأن حواء أكلت الرمان، وأنها انتزعته من شجرة صغيرة في جنة عدن، وليس تفاحة، ودفن المصريون القدماء موتاهم مع ثمار الرمان لأنهم يعتقدون أنها تقدم الحياة

(١) أماريق ، ص ٧١.

الأبدية لهم، هذه الفاكهة لها تاريخ ثري مع الأساطير والتقاليد باعتبارها رمزاً للأخبار الجيدة، هذا هو السبب في كسر اليونانيين الرمان في احتفالات الزفاف، وأكل الصينيين بذور الرمان لجلب الحظ ، يقول عنها أحمد بيهان في قصيدة (الهوى والعفاف)[1]:

جِلنـــارُ يســـيلُ في شَـــفتي ودمُ الـــوردِ صـــبغةُ الوجنـــاتِ

مـــا الطـــلا تـــذهبُ المـــداركُ لـــولا أنَّ فيهـــا مـــنْ اللَمـــى قطـــراتِ

ومـــدامُ الشـــفاهِ يســـلبُ لُبـــاً يَســـتقيهِ بباهـــتِ النظـــراتِ

ومن الأساطير كذلك (المارد) ، ونجد الشعراء يتخذونه رمزاً ، يورده بيهان في قصيدة (العاجزون) فيقول[2] :

يهزأ المـارد من أصفاده

ليّن القيد ... ولا المارد لانا

أنا من في قلبـه نور الهدى

أنا من في كفـه حتف بلانا

هكذا تعامل شعراء أبها مع الاساطير، فقد أوردوها في شعرهم، محافظين على تمسكهم الديني الذي يرفض شيئاً من هذه الأساطير ، فلا يتعاملون معها على أساس اعتقادي ،إنما على أساس الفكرة والأسطورة فحسب .

ويبقى الأهم في الأمر كيف وظف شعراء أبها هذا الرمز الأسطوري ؟ ويمكن أن نجمل أهم صور التوظيف فيما يلي :

---

(١) ديوان ، نزيف المشاعر ، ١٣٦.

(٢) السابق ، ص ٤٢.

١- التوظيف الرمزي البسيط للأسطورة : وهو التوظيف الذي يهتم بأن تحتل الأسطورة حيزا بسيطا في نسيج القصيدة أو عندما ترد على شكل رمز بسيط ، كما رأينا في استخدام أحمد التيهاني لأسطورة (السعلاة ، الوعل) ، فيضمنها قصيدته [١]

٢- التوظيف الصريح للأسطورة : كرمز (فينيس) وهو إله الحب عند الاغريق ، كما ذكرنا عند أحمد بيهان ، في قصيدته (عد حيث جئت [٢] .

٣- يهدف الشاعر في بعض الأحيان من استخدام الرمز الأسطوري في شعره إلى استثمار معاني وأبعاد الرمز الأسطوري الذي يكون عادة في لاوعي المتلقي، مع القيام بالتنقيب عن هذه الرموز لتكون وسيلة اتصال بين الشاعر والمتلقي ،كما فعل بيهان مع الرمز الاسطوري (جلنار)التي تمثل القوى الأسطورية عند القدماء ، كما في قصيدة (الهوى والعفاف)[٣] .

---

(١) ديوان أماريق ، ص ٧١.

(٢) نزيف المشاعر ، ص ٩٠.

(٣) ديوان ، نزيف المشاعر ، ١٣٦.

سادساً : الرمز المكاني :

إن ارتباط الإنسان بمكان ما لايُعد انتماءً جغرافياً ، أو وطنيا فحسب، بل " أضحى حالة نفسية وجدانية فليس غريبا أن يلوذ الإنسان بشجرة أو صخرة أو مغارة "[١] ، يجد فيها ما لا يجده في مكان آخر ، وليس من اليسير تحديد أسباب جاذبية المكان للإنسان ، فقد يكون السبب ذاتياً خالصاً لا يدركه غير صاحبه، وقد يكون سببا كامناً في صدى الأصوات المنبعثة أو في عبق المكان، ويستعين الشاعر لتحقيق هذا الهدف بالخصائص الرمزية للمكان ؛ إذ ينسب لكل مكان رمزه التاريخي والثقافي والسياحي ، فمثلاً نجد أحمد التيهاني يلمح إلى جبل (أبو خيال)، بكل ما يحمل من معاني عند أهل أبها ، حيث الشموخ ، والجلال ، والجمال ، فيقول في قصيدة "مقعد في (أبو خيال) " [٢]:

وبقية أسرار المشهد ؟

تتثائبُ أبها ..

أو تغفو ..

تتدثّر معطفها الأسودْ

كالحضن الحاني للمُسهد

فغفوتُ

وحلمي هو أبها ..

وحلمتُ بأني أحملها ..

تحملني ..

---

(١) انظر ، الفضاء المكاني في ديوان عز الدين المناصرة ، د .عمر عبد الهادي عتيق ، موقع رابطة أدباء الشام على الانترنت .

(٢) ديوان أماريق ، ص ٥١.

أو ضاعَ المشهدْ ..

لكني أبصرت آمالاً

تدخلها أبها في صدري

كالنار بروحي تتوقد

فإذا آمالي .. هي أبها ..؟!

أما الذي أعجب أحمد بيهان في أبها ، فهو ذلك الجمال الطبيعي ، وتلك المناظر التي تسلب الفؤاد ، وتجعله يشبهها بالجنة فيقول في قصيدة (إلى جنتين) [1] :

رقَّ النسيمُ وفاحَ من نسماتهِ عطرٌ .. سكرتُ من خطراتهِ

وتراقَصتْ صورُ الجمالِ كأنَّها حلمُ الشبابِ الغضِّ في فلتاتهِ

أبها مَا في الكونِ أكثرَ فتنةً منْ نشرها الزَاكي ومن خطراتهِ

أما الشاعر علي الثوابي فيغنى أبها ، ويبادلها الود والحديث ، أبها المكان ، الذي أخذ منه كل مأخذ فيقول في قصيدة " أبها " [2] :

أغنيكِ يا أبها وقد عزَّ جانبي وأُهديكِ لحناً من بديعِ قصائدي

وأسبحُ في مغناكِ بحدوِ خَرائدي وفاءُ أبي من طريفِ وتالدِ

أهيمُ غَراماً في رباكِ مُؤبداً وعِشقكِ في عَيني سَامي المقاصدِ

---

(١) ديوان نزيف المشاعر ، ص١٨٤.

(٢) الثوابي ، (علي مفرح) ، ديوان وميض الأفق ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٥هـ ، ص ٢.

وللعشقِ في أبها وشومُ شَواخصٍ تدومُ على الأيامِ رُغمَ الشدائدِ

هكذا حلت أبها في ذاكرة شعراء أبها ، فجعلوها رمزاً لمشاعرهم الفياضة ، وأحاسيسهم المتوقدة ، و يتكئ الشاعر على أسلوب الأنسنة فتبدو أبها امرأة جميلة، فاتنة، ويحرص على التنويع في ماهية المكان ، ولعل في هذا التنويع المكاني تنويها للتفاعل الوجداني بين الشاعر وأبها المكان .

- **الخاتمة**

لقد ظهر لي من خلال هذا البحث أن الرمز من أهم التقنيات الفنية التي أخذت بها القصيدة المعاصرة، وشكّلت علامة فارقة في تطور التجربة، بحيث غدت ذات رؤياً شمولية تصل الخاص بالإنساني العام والكوني، والحاضر بالماضي، وغدت القصيدة بنية مركبة ودرامية، عميقة الدلالة، شديدة الوحدة العضوية، حين تبنى على رمز محوري يدور حوله النص، ما يؤدي إلى تحول الرمز إلى بؤرة إشعاع دلالي وإيحائي يتفاعل فيه الخاص والعام والكوني في نسيج رؤياوي شديد الفاعلية، وقد حاولت في هذا البحث أن أقف وقفة متأنية للكشف عن بعض الرموز التاريخية التي عبر بها شعراء أبها ، وضمنوها قصائدهم ، ثم محاولة الكشف عن أشكال توظيفهم للرمز، و صولاً إلى وضع مقاربات، أو تأويلات تقوم على قاعدة (الإنتاج الدلالي) بما لا يناقض مفهوم الرمز بوصفة لغة إيحاء يهدف إلى فتح قنواتٍ للمشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي، وقد توصلت إلى خلاصة من النتائج يمكن عرضها كالآتي:

١- وجود سعة في مرجعيات الرمز التي تتنوع بين الديني ، والأسطوري، والشعبي ، ويبرز ميل شعراء أبها إلى النهل من التاريخ الإسلامي والعربي ، كما يتضح جيداً عند الشاعرين : أحمد بيهان وعبدالله الزمزمي ، فضلاً عن الترميز بالأماكن وعناصر الفلكلور الشعبي كما يظهر عند الشاعرين أحمد التيهاني ومريع سوادي ، وقد أراد الشعراء بذلك تحقيق رمزية التواصل مع الماضي الحضاري وبعثه في روح العصر من ناحية، وإضفاء روح المحلية على التجربة من ناحية أخرى، ولا يعني ذلك أحجاماً عن التراث الإنساني، إذ وظف الشعراء عدداً من الرموز من

الأساطير اليونانية، والعربية القديمة، ورموز تاريخية من التراث الثقافي العربي والعالمي، وفي كل ذلك ظلت الرموز شديدة الصلة بالتجربة الخاصة، وتخضع لمتطلباتها ،أي أن الشاعر بفعل تجربته المنفتحة على العالم يستدعي رموزه بوصفها ممكنات ضرورية لمواجهة الوضع القائم عنده ، ولذلك جاءت الرموز لتكشف عن صراع الشاعر مع الوضع المتغير باستمرار وحضوره الفاعل فيه، وترتبط اختيارات الشاعر لرموزه برؤيته إلى الكون والحياة، وعلى ضوء الرؤية تتحدد وظيفة الرمز وبنيته في القصيدة، وعّمق الشاعر في أبها رؤيته إلى معطيات الحياة والتاريخ والكون بأن جعل علاقته بمفرداتها علاقة تتجاوز الصلة السطحية المباشرة إلى علاقة التداخل والوحدة .

٢ – دلالة الرمز متطورة ومتغيرة، وفق تطور التجربة وتطور رؤية الشاعر إلى الكون والحياة، ويمكن النظر إلى وظيفة الرمز في التجربة الواقعية من هذه الزاوية أي وظيفة التعبير، لكنه ليس التعبير عن الأحلام المطلقة، بل التعبير عن الموقف من قضايا العصر، فضلاً عن الكشف عن الواقع بما فيه من شرور ومآسٍ، انطلاقاً من موقف ملتزم بقضايا الدين والوطن والإنسان، وقد ركّز الشاعر في أبها على دلالة الخلاص بوصفها ضرورة في ظلِّ المواجهة مع الواقع المأساوي، فبرزت في القصيدة الرموز التاريخية المرتبطة بالمقاومة، والحضارة مثل خالد بن الوليد وصلاح الدين الايوبي.

٣ – الرمز تقنية متطورة بنائياً في الصورة والقصيدة، وتدرج الشاعر في أبها مع الرمز من التعامل معه بطريقة جزئية، إلى البناء الكلي الذي يحتل معه وظيفة بنائية تشيع مكنوناته الدلالية في روح النص والتجربة بعامة،

فحين النظر في تجربة شعراء أبها نلحظ أنهم يعتمدون على الرموز الجزئية التي تؤلف عناصر في بناء الصورة الشعرية ، مع كون وظيفة الرمز عندهم تعبيرية عن حالة ذاتية مفردة، قد لا تجنح كثيراً إلى الغموض والتجريد، بل هي ذات طابع وجداني، وقد حاول الزمزمي ـ مثلاً ـ بناء قصائد على رمز كلي مهيمن في القصيدة، كما فعل في قصيدته (وقفة على قبر خالد بن الوليد) لكن بناء تلك القصائد ليس من صميم البناء الفني للرمز، بل هو من نمط القصة الرمزية ، نظراً للتركيز على الفكرة وهي واضحة لا غموض فيها ومن ثم محدودية الإيحاء الرمزي في هذا البناء الشعري.

٤- من الملاحظ عند شعراء أبها أنهم لم يحدثوا تطور مهماً في التجربة الواقعية فيما يخص بناء الرمز في القصيدة، على الرغم من استعمال رموز أسطورية وتاريخية ، فقد ظلت الطريقة الجزئية هي الشائعة وتبنى في صور ينعدم فيها الخيال الذي ميز القصيدة عندهم ، وبعضها رموز واقعية، وأخرى أسطورية لكنها مجرد تشبيهات واستعارات لا تبعد عن روح المجاز البلاغي.

والحمد لله ب العالمين أولاً وأخراً ....

أهم المصادر والمراجع :

١. ابن منظور ، ابو الفضل ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

٢. أبو بكر أحمد، د. أسماء، آليات التناص النوعي في شعر الحداثة منشورات مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ط(١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

٣. أديب إسماعيل محمد ، الشعر العربي وقضية الرمز، مجلة الوحدة ، اللاذقية . العدد ٦٢٥١

٤. إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية ، ط ٣ ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١م.

٥. الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوان الاعشى الكبير ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان،٢٠٠٥م

٦. البردويل ، صلاح : أطروحة دكتوراة ، بعنوان نوظيف التراث الشعبي في الشعر الفلسطيني المعاصر .

٧. بيهان ، أحمد عبدالله ، ديوان نزيف المشاعر ، نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٤هـ .

٨. التيهاني ، احمد عبدالله، ديوان أماريق ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٠.

٩. التيهاني ، أحمد ، الشعر في عسير ١٣٥١-١٤٣٠هـ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيوت، لبنان، ط١، ٢٠١٦م.

١٠. الثوابي ، علي مفرح ، ديوان وميض الأفق ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٥هـ .

١١. الحداد ، علي ،أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، ط ١،دار الشئون الثقافية العامة ،مجلة آفاق ، بغداد .

١٢. الزمزمي ، عبدالله محمد ، ١ـ ديوان مواجع قلب ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤١٥هـ .

٢- ديوان هذا أنا ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢١هـ .

١٣. سوادي ، مريع ، ديوان وشايات قروية ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢٣هـ .

١٤. عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤.

١٥. عتيق ،عمر عبد الهادي ، الفضاء المكاني في ديوان عز الدين المناصرة ، ، موقع رابطة أدباء الشام على الانترنت .

١٦. العصيمي ، تركي بن صالح ، ديوان قلب في أبها ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ .

١٧. فتوح ، محمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط١ / ١٩٨٤م .

١٨. القرني ، فاطمة ، ديوان عندما غنى الجنوب ، إصدارات نادي أبها الأدبي ،١٤٢٩هـ .

١٩. القرني ، منصور فازع ، أبها في الشعر السعودي المعاصر (دراسة موضوعية فنية) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٥هـ .

٢٠. كناني ، زايد محمد ، ديوان تقاسيم زامر الحي ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٢٢هـ .

٢١. ناصف ،مصطفى ، الصُّورة الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢/١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٢. النعمي ، هاشم ، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير ،من اصدارات نادي أبها الأدبي، ط١ ، ١٤١٥هـ.
٢٣. يونس ، محمد عبدالرحمن ، مدخل في مكانة الأسطورة وأهميتها، مجلة العربي الحر ، الشبكة العنكبوتية .